اليونان

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا فيها في القرن السابع اي في العصر الذي اخذ اهل العلم يعرفون عنهم شيئًا يوثق به. وقد حفظ كثير من هذه الشعوب ذكرى نزولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة في تلك البلاد. جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت شمل غيرهم امام المغيرين عليهم. ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعواء والرحلات كانت من القدم بحيث لم تصلنا اخبارها مسطورة ونقلت وشاع ذكرها تقليدًا ويقولون انها كانت في القرن الثاني عشر (اي بعد اخذ طروادة بثمانين سنة) ولا عبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائط يحسبون بها في ذاك العهد المتطاول على ان هذا التاريخ أخذ قضية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه.

دعي اقدم سكان يونان بالپيلاسج (ولعل معناه القدماء) ولم يُعرف عنهم شيء ولا فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر. ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان ولا يعلم ايضًا كيف ابدل اسم پيلاسج بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضًا ذكر لهذا الاسم. ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت أثرًا من آثار فاتحيها وغزاتها. فقد جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين «الارناؤط اليوم» وهاجموا سهل بينيه الفسيح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجمين عصابة من الفرسان الاشراف وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يزرعون ويحرثون ليس الا. وقد رحل الى وادي سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ردح من الدهر خرج الدوريون من جبال البند واجتازوا برزخ كورنت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وغنيت رباعه وبقاعه مثل لاكونيا ومسينيا وارغوليديا وسيكيونيا وكورنت وميكار. ويروى ان قدماء ملوكهم دعوهم الهيراكليديين (اي نسل المعبود هيراكليس) ليغلبوا رعاياهم الثائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدوريون الى زراع واهل فلاحة

واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايليديا في الغرب. واتهال الاشيانيون ممن ابت نفوسهم الخضوع على شاطيء شبه جزيرة المورة

الشمالي وطردوا منها الايونيين واسسوا الاثني عشرة مدينة الآسيانية فلجأ الايونيون المطرودون الى مقاطعة اتيكا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الاتيكيون اي سكان اتيكا شبهاً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الآخر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعد ذاك الشاطيء بعينه . واحتل الدوريون جزيرة اقريطش (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الجنوبية .

الدوريون — يراد بالدوريين نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطيء بلاد اليونان الجنوبية المعروف ببلاد المورة و يذكر هؤلاء المغيرون ان ملوكاً من اسبارطة من نسل البطل هيراكليس قد طردهم رعاياهم فجاؤا يحتون عنهم في جبالهم فتبع الدوريون اخلاف هذا البطل حباً به ونصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلاً من الناس اشتهر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وشظف العيش وحياة الفقر والفاقة فترى رجالهم ونساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدوريون امة حربية دعاها الاضطرار الى ان تكون ابداً على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعد اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالغرباء ولا تقليدهم في منازع اخلاقهم .

الايونيون — يدعى شعوب ايتكيا والجزائر وشاطيء آسيا بالامة الايونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدوريين جنس من البحارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشارفة اعرق منهم في الحضارة واقتبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صبغتهم اليونانية لامتزاجهم بالآسياويين ولانهم نحوا نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم و يولعون بالصناعات و يعيشون عيش الترف يمضغون الكلام و يرققونه و يلبسون ثياباً ضافية الاذيال على مثال المشارفة

الميلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدوريين والايونيين هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . فاقليم اسبارطة للدوريين واقليم اتينية للايونيين وليس السواد الاعظم من اليونان دوريين ولا ايونيين و يعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايوليين واكرنانيين وفوسيديين و بيوسيين من اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشانيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون

باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما يميل نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم طواريء من اهل المدن انشؤا بلدانًا في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك الصغيرة اليونانية في جميع جزائر الارخبيل وعلى جميع شاطيء آسيا الصغرى واقريطش وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقريم على طول البلاد العثمانية في اوربا (المعروفة اذ ذاك بتراسيا) وعلى شاطيء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى شواطيء فرنسا واسبانيا

اخلاق هذه المستعمرات — يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات اشتقت من كل المدن ونتجت عن كل جنس دوريًا كان او ايونيًا او ابوليًا . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة نارة وفي بلاد مأهولة اخرى أسست حينًا بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان وانشأها بحارة او تجار او منفيون او متشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها واصلها بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد ثابتة . وما كان الطواريء او المستعمرون من اليونان يحلون في بلد واحدًا بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضًا فيقيمون لهم مساكن تصيح بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطواريء من الاوربيين في اميركا اليوم بل كان الطواريء منهم يسافرون قضهم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فيؤسس البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يعدّ احتفالاً دينيًا فيخط المؤسس لها سورًا مقدسًا ويجعل بيتًا مباركًا يوقد فيه نارًا مقدسة

تقاليد المستعمرات — ينضح مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد الغال (فرنسا اليوم) اوكسينس احد اهالي مدينة فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء الغاليين الى عرس ابنته ومن عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأسًا لتقدمها لرجل تختاره من الجماعة فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فظهر للقوم ان هذا العمل كان بالهام من السماء

(١) جاء هذا الفصل متأخرًا عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاخيرة

اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الزعيم الغالي الاّ ان زوج اوكسينس من ابنته وسمح له بان يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسى ان الجيش الفارسي يحاصر مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً تقلّ عيالهم واثقالهم واصنامهم وحليّ معابدهم وغادروا بلدهم ماخرين في سفنهم واقسموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عامت على وجه الماء الجديدة المحماة التي القوها في البحر . وقد نكث كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مستقط رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العباب بعد العباب حتى وصلوا الى مرسيليا بعد ان تجشموا اهوالاً كثيرة . واسس الايونيون مدينة ميلت تاركين نساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فذبحوا الرجال وتزوّجوا بنسائهم وبناتهم قسراً . ويقال ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يناديهم يا ازواجنا . عادة بقيت قروناً يعمل بها عند نساء ميلت . اما مستعمرة برقة في افريقية فقد أسست بامر صريح من المعبود ابولون ووحي منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الذين أمروا بذلك يحاذرون من نزول بلد مجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكانت جزيرتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الجزيرة عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء الذين انفذوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قضوا عامين في احدى الجزر وقد خانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا ابد الدهر مدينة برقة فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المستعمرات — من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل مكان تنزله ولا تخضع لأم القرى التي انفصلت عنها بتة . وهكذا بلغت الحال بان كان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع واخصب وسكان اوفر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلثمائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيشت جيشاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وفاقت سيراكوزه في صقلية وميلت في آسيا بقوتهما مملكتي اسبارطة وآثينية وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكبرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون اوفر عدداً في البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رجال تلك المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وطاليس وفيثاغورس وهيراقليطس وديموقريطس وانفيدكس وارسطوطاليس وارخميدس وتيوكريتس وغيرهم

المدن — ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي نزلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير خفٍ ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية متقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كثير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن جارتها برأس من البحر او بجدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واذا احصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة الينا فان ايتيكا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفاً ومزارع . ومن العادة ان يكون ما يعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفأ او بضع قرى مبعثرة في الفلاة حول قلعة فترى من المملكة الوحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها او مرفأ المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة آلوف من الناس واعظمها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثمائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون أمة برأسها ولا انفكوا من النقائل والتقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ شطوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناء نبعة واحدة ويتمايزون عن سائر الامم التي يدعونها البرابرة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب — اعتقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور بالالهية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادقه والارض سلمه ورتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها في قوة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اذ لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الآلهة فكانوا وثنيين على هذا النحو .

نسبة الشهوات البشرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصور اليونانيين وسعة خيالهم مثلت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كائناً حياً في ابهى المظاهر من الصور البشرية وكانوا يتمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة المحيا وعند ما كان عولس او تيليماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان ربّاً من الارباب . وقد صوروا في درس البطل آشيل صورة

(١) في الطبعة الاخيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

جيش . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس واتينيه كانا يقودان الجيش وكلاهما متشح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اذ البشر اقزام تصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشرًا يلبسون ثيابًا ولهم فصور واجساد كاجسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الالم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشر هو ما يدعى « انتروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميثولوجيا — للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لانهم ناس كالآدميين فامهم ربة واخوتهم ارباب واولادهم ارباب غيرهم او ناس هم نصف ارباب . وتدعى انساب هذه الارباب تيوغونيا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واخبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب ابولون مثلا ولد في جزيرة ديلوس وكانت لجأت اليها امه لاتونت قبل غيلانًا كان قد خرب تلك البلاد في سفح جبل البارناس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية اخبار تعزوها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تتألف الميثولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون — بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً كوائن طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البشر وقوى الطبيعة فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبعًا منبجسًا في آن واحد . وتخيل هوميروس الشاعر ان نهر جزيرة الزانت هو رب وقال فيه (لقد تدفق نهر الزانت على البطل آشيل وهو يزيد غيظًا ويرغي حنقًا ويخر طافحًا بالزبد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب زيوس ينزل المطر ويرسل الرعد . وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او شمس لا السماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتًا للسماء التي تظله والارض التي تقله والنهر الذي يعله . ثم ثم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة ثم رب الشمس الى ارباب الارض الى رب البحر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارضها وبحرها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس ربًا لآثينة زيوس بعينه وربما كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم اتينيه او ربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفًا من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا غابة غياه ولا اكمة شماء الا وهي موطئة (١) ولها صفة لا يشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيرًا لا يعبده الا ناس من اهل الجوار وما مزاره غير مغارة في الصخر .

(١) يقول الشاعر از يودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

الارباب الكبيرة — وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المبثة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالماء والشمس والارض والبحر المدعوة بهذا الاسم لها في كل مكان معبد خاص او مزار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي اشترك اهل يونان كافة في التقرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عدها الى العشرين . ومن سوء عادة الامم عاشر الافرنج ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لاتينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المشتري) = هيرا (جونون) = اتينيه (منرفا) = ابولون = ارتيس = (ديان) = هرميس (عطارد) = هيفستوس (فولكين) = هيستيا (فيستا) اريس (المريخ) = افروديت (الزهرة) = بوزيدون (نبتون) انفيتيريت = بروته = كرونوس (زحل) = ريبيا (سيبيل) = ديميتير (سيريس) = برسيفونه (بروزربين) = هاديس (بلوتون) = ديونيزوس (باخوس) . وهذه الزمرة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعابد على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات .

خصائص الارباب — لكل من هذه الارباب حيثه وهندامه وادواته المدعوة خصائص هكذا تصورها المؤمنون من ابناء يونان وهكذا مثلها النقاشون منهم . ولكل خلقه المعروف به بين عابديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامره . فالرب اتينه مثلاً هو على صورة عذراء ذات عينين براقتين مثلث قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها خوذة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الضوء النقي والحكمة والاختراع وعلى جانب من الهيبة والشراسة .

ومثل هيفيزتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج قبيح الهيئة وزعموا انه ينزل الصاعقة . وان الربة ارتيس كانت عذراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة وهي تطوف الغابات لتصيد مع زمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والبرت . اما هرميس الذي قلنا عنه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاماكن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموتى ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . وللرب اليوناني ابداً عدة وظائف في الغالب هي في نظرنا متخالفة غير ان اليونان تخيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً

الاولمب وزيوس — كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لاتسير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للتعبير عن النظام والعالم فرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم

وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في شمالي اليونان جبلاً ذا قمم مكسوة بالثلج لم يصعد اليه بشر واسمه الاولمب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بما يتراكم عليها من الضباب توهم اليونان ان الارباب يعقدون جلساتهم فيجتمعون مستترين بنور سماوي يتفاوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المشتري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب الذي يؤلف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ مهاب ذي لحية بيضاء جالس على عرش من ذهب وهو الذي خص بالزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها تخضع له فاذا بدرت من احدها بادرة المقاومة في امر يتهددها زيوس واليك ما ذكره هوميروس على لسانه «اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاشر الارباب ذكوراً كنتم او اناثاً ولو بذلتم الجهد كلكم لا تجرون زيوس الى الارض وهو الملك الآمر وعلى العكس اذا اردت ان اجذب السلسلة اليّ فانا جاذب اليّ الارض والبحر ثم اعلقه بقمة الاولمب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوباً ما دمت اعلى منزلة من الارباب والبشر»

آداب الميثولوجيا اليونانية — وعد اليونان ان معظم اربابهم من القسوة والسفك والخداع والسفاهة على جانب فاخترعوا لهم اخباراً سفيهة واعمالاً نابية عن طور اللياقة . فكان هرميس بزعمهم لصاً واشتهرت افروديت بفجورها وخفرها واريس بقسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا يتفكهون عن اضطهاد من تساهل في تقديم اضحياتهم . ولما أُعجبت نيوبي ملكة ثيبة بكثرة أسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب ابولون يصمي اولادها بالسهام ويزقهم كل ممزق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تنال من رؤية انسان بلغ غايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب غضب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربة للغضب والانتقام سموها نيميزيس ويذكرون لها قصصاً كالآتية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد الارباب اذ غدا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالقاه في اليم لئلا تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس ذات يوم سمكة عظيمة وجد خاتمه في جوفها فكان ذلك بنظره شؤماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . فحوصر بعد في مدينته وأُخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحظ من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميثولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقوا على الشعراء الذين نشروا هذه الحكايات وذكر احد تلاميذ فيثاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر مصلوبة في شجرة وروح ازيودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لما عزته الارباب

وقال كسينوفان ان هوميروس وازيودس قد نسبا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون عاراً بين البشر وشناراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا بعقولها وكان يزيد على ذلك قوله : لو كان للبقر والاسود ايد واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا للارباب اجساداً تشبه اجسادهم وجعلت الخيل للارباب اجساداً كالخيل والبقر والناس يذهبون الى ان للارباب احساساً وصوتاً وجسداً. هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل بمكان اذ قد جعل اليونان الأول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذاك العهد سفاكين غدارين حسودين مجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في اخلاقهم ينشأ اخلاقهم متبرمين من هذه المبادي، كلها عازفين عنها ولكن تاريخ الارباب واخلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة اخذها اهل الاجيال الحديثة ولم يجرأوا على تغيير ارباب اجدادهم الفظة السفيهة بغيرها

بعض تباريح

« المعنى مأخوذ عن شاعر اميركاني »

حمامةَ هذا الفجر ويحك رفرفي ... لتلتقطي حب النجوم وطيري
لعل الصبا تندى على القلب ندوة ... لنفسٍ وجدي اوتبلَّ زفيري
فلي في الصبا شكوى ولي في الصبا هوى ... وبعض تباريح وبعض امور
تحرك نفسي كلما هفهفت وما ... نظن بانفاس وشعلة نور
فيامن لنفس كل شيء بعيبها ... الى اثرٍ من لوعة وسرور
تلاقى اليها الحب من كل مذهب ... كما استهدفت فيه لكل مصير
فكيف انثنت تلقى الهوى او شعاعه ... لحاظاً والفاظاً ونور ثغور
كثيرٌ على نفسي همومي وحبها ... على عنت الايام حملُ عميري
تخالجني بالرغم يأسٌ مبرِّحٌ ... سوالف عيشي بعده وبسيري
وما انا مردود الى الرأي بعد ما ... تحكَّم طبعي واستمر مريري (١)
شجينا وباتوا قد خلت مهجاتهم ... على افق بادي الصفاء منير
وما في اكتئاب العشق حزن وانما ... لمعنى يرى في اللحظ بعض فتور
طنطا

مصطفى صادق الرافعي

(١) يقول الرجل استمر مريري اذا استحكم امره عليه وأبرمه